﴿٢/١﴾ شعر ابن عبد البر في التغرب

قال ابن عبد البر [١] :

وقائلةٍ مالي أراك مرحّلاً فقلت لها : صه واسمعي القول مجملا
تنكر من كنا نسر بقربه وعاد زعافاً بعدما كان سلسلا
وحق لجار لم يوافقه جاره ولا لائمته الدار أن يتحولا
بليت بحمص والمقام ببلدة طويلاً لعمري مقفر يورث البلى
إذا هان حر عند قوم أتاهم ولم ينأ عنهم كان أعمى أجهلا
ولم تضرب الأمثال إلا لعاقل ولا خوطب الإنسان إلا ليعقلا

﴿٢/٢﴾ التناقض في المنطق

نفي الضد إثبات للضد ؛ لأن الضدان المنحصران لا يجتمعان ولا يرتفعان ، بخلاف غير المحصورين . مثلاً : هذا أبيض ، ليس أسوداً . وليس السواد ضد الباض لأنهما غير منحصران ، لوجود ألوان عدة .

﴿٢/٣﴾ معرفة الداء

كان الحسن البصري يتمثل بهذا البيت [٢] :

يسر الفتى ما كان قدم من تقى إذا عرف الداء الذي هو قاتله

﴿٢/٤﴾ وضع اليدين على الصدر بعد الركوع

حديث حمران : فغسل كفيه ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق واستنثر ، حديث عبد الله بن زيد : تمضمض واستنشق من كف واحدة يفعل ذلك ثلاثاً .

﴿٢/٥﴾ حديث العين

والنفس تعرف من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

***

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر .
(٢) جامع بيان العلم ٨١٠/٢ .

يخفي العداوة وهي غير خفية نظر العدو بما أسر يبوح

***

تبدي عيونهم ما في قلوبهم والنفس تعرف ما في العين أو تصف

﴿٢٧٦﴾ لفظ : إنسانة

تمرِي بإنسانِها إنسانَ مقلَتِها إنسانةٌ من جوارِي الحيِّ عطبولُ

***

إنسانة فتانة بدر الدجى منه خجل

﴿٢٧٧﴾ وأمر بالعرف

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ والعرف هنا هو المعروف

من يفعل الخير لا يعدم جوازِيَهُ لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

***

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل شخص سيجزى بالذي فعلا

***

فجُدْ بعُرْفٍ ولو بالنّزْرِ محتسباً إنّ القَناطيرَ تُحوى بالقراريطِ

***

فلو هممت بغير العرف ما علقت به يداك ولا انقادت له شيمك

﴿٢٧٨﴾ حفظ السر

قال الشافعي :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

***

فلا تفش سرك إلا إليك فإنَّ لكل نصيحٍ نصيحا

***

كل علم ليس في القرطاس ضاع وكل سر جاوز الاثنين شاع

﴿٢٢٩﴾ السَّراة

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

***

إذا تولى سراة الناس أمرهم نمى على ذاك أمر القوم فازدادوا

***

لا يكون السري مثل الدني لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

***

ورابعها مجالسة السـ ـراة السادة الكملة

﴿٢١٠﴾ الحلم والجهل

قال تعالى : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾

متى تجمع القلب الذكي وصارِماً وأنفاً حَمِياً تجتنبْكَ المظالِمُ

***

تعدُو الذئابُ على مَنْ لا كلابَ له وتتقي مربض المستأسدِ الحَامِي

***

ولا خَيْرَ في حِلْم إذا لم يكن له بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكدَرَا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حَليمٌ إذا ما أَوْردَ الأمرَ أَصْدَرَا

***

لئِنْ كنتُ مُحْتاجاً إلى الحِلْمِ إنَّني إلى الجَهْلِ في بَعْضِ الأَحايينِ أَحْوَجُ
ولِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ ملْجَمٌ ولِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بالجَهْل مُسْرَج
فَمَنْ شاء تَقْوِيمِي فإِنِّي مقَوَّمٌ ومَنْ شاء تَعْويجي فإِنِّي مُعَوَّج
وما كنتُ أَرْضَى الجَهْلَ خِدْناً ولا أَخاً ولكنَّنِي أَرْضَى بهِ حينَ أُحْرَج

أَلَا رُبَّمَا ضَاقَ الفَضَاءُ عَلَى الفَتَى وَأَمْكَنَ مِنْ بَينِ الأَسِنَّةِ مَخْرَجُ
لإِنْ قال بَعْضُ النَّاسِ : فيهِ سَماجَةٌ لقَدْ صَدَقُوا والذُّلُّ بالحرِّ أَسْمَج

***

وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

***

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه إن اتسعت بالحلم طرق المظالم

***

فإن قيل حلم قلت للحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل

***

فَقالَت هُجينا قُلتُ قَد كانَ بَعضُ ما ذَكَرتِ لَعَلَّ الشَرَّ يُدفَعُ بِالشَرِّ

﴿٢/١١﴾ حكمها في كتاب الله

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : ما من قضية، كائنة ما كانت، إلا وحكمها في كتاب الله تعالى، وسنَّة رسوله ﷺ ، نصّاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك، عِلِم ذلك مَن علمهُ، وجهله من جهله [٣] .

﴿٢/١٠﴾ الهوى

قال ابن القيم [٤] : ومنها ما يكون وروده باختياره فإذا تمكن لم يكن له اختيار ولا حيلة في دفعه ، وهذا كالعشق أوله اختيار وآخره اضطرار

رويد الذي يدعى إلى معرك الهوى فإن له قوماً كثيري المصارع

***

دع الهوى لأناس يعرفون به قد عالجوا الحب حتى لان أصعبه
بلوت نفسك فيما لست تخبره والشيء صعب على من لا يجربه

---

(٣) رسالة في تحكيم القوانين .
(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص: ٦٧ .

﴿٢/١١﴾ أصول المعتزلة الخمسة

١- العدل = نفي القدر .

٢- التوحيد = نفي الصفات .

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر = الخروج .

٤- المنزلة بين المنزلتين = صاحب الكبيرة في الدنيا لا مؤمن ولا كافر .

٥- إنفاذ الوعيد = صاحب الكبيرة في الآخرة مخلد في النار .

﴿٢/١٢﴾ السياسة

قال الإمام الشافعي [٥] : لا سياسة إلا ما وافق الشرع .

﴿٢/١٣﴾ السلطان [ملحق ١/٧٥]

وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله [٦] .

***

قال يونس بن عبيد [٧] : إذا خالف السلطان السنة ، وقالت الرعية : قد أُمرنا بطاعته ، أسكن الله قلوبهم الشك ، وأورثهم التطاعن .

﴿٢/١٤﴾ كل يؤخذ من قوله ويترك [ملحق ٦/٦٥]

قال ابن حزم [٨] : فلا بد لكل فاضل من زلة وكل عالم من وهلة وكل أحد من الخيار فإنه يؤخذ من قوله وفعله ويترك ويرغب من كثير من قوله وفعله إلا رسول الله ﷺ . وقال الذهبي [٩] : وَكُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذ مِنْ قَوْله وَيُتْرَكُ إِلاَّ رَسُوْل اللهِ ﷺ وَلَكِن إِذَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ، لاَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ ننسَى مَحَاسِنهُ، وَنُغطِي معَارِفه، بَلْ نستغفرُ لَهُ،

---

(٥) بدائع الفوائد .

(٦) السنة للبربهاري ص ١١٣ .

(٧) [إحالة]

(٨) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤/ ٤١ .

(٩) سير أعلام النبلاء ط الرسالة ١٨/ ١٥٧ .

وَنَعْتَذِرُ عَنْهُ . وقال الشيخ الحويني حفظه الله [١٠] : العالم الجليل الفاضل إذا قال قولاً مخالفاً للشرع فلا يجوز لنا أن نتبعه فيما قاله، كما أنه لا يجوز لنا أن نهدر مكانته وفضله .

﴿٢/١٥﴾ الغراب الأعمى كسير الجناح

يحكى أن رجلاً متصوفاً خرج يتعبد في الصحراء فبينما هو يسير رأى غراباً أعمى كسير الجناح ، فقال : سبحان الله! من يرزق هذا الغراب في هذا الخراب ؟ فلم يلبث أن رأى غراباً يطير في السماء وفي فمه طعام حتى سقط على الغراب الأعمى ففتح فاه فأطعمه ، فقال الرجل : سبحان الله لقد أراني الله آية ، سأذهب أعبد الله والله يرزقني ، فأوى إلى كهف يعبد الله فيه فسمع به عالم فبعث إليه : ولم ارتضيت لنفسك أخس المنزلتين .

﴿٢/١٦﴾ طريقان شتى

قال علي بن عباس [١١] :

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج

***

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح

﴿٢/١٦﴾ الجدال [مكرر ٣/٤٤]

قال الهيثم قلت لمالك: يا أبا عبد الله الرجل يكون عالما بالسنة يجادل عليها؟ قال لا: يخبر بالسنة فإن قبلت منه والا أمسك [١٢].

﴿٢/١٧﴾ أعزنا الله بالإسلام

قال عمر رضي الله عنه : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله [١٣].

***

(١٠) مادة صوتية بعنوان مذهب أبي ذراع .

(١١) الإحكام لابن حزم .

(١٢) انظر بيان فضل علم السلف على علم الخلف .

(١٣) [إحالة]

﴿٢/١٨﴾ فائدة في الاحتجاج

والضلال قد يأتي من عجمة الفهم وسوء الاحتجاج من جهة الشهوة أو الشبهة ، كقول إبليس : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ وقول الكفار : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ والصيد يوم السبت لبني إسرائيل .

﴿٢/١٩﴾ أول من تسعر بهم النار

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

﴿٢/٢٠﴾ مجادلة المؤمنين ربهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِذَا خَلَّصَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا ، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، أَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ ، قَالَ : يَقُولُونَ : رَبَّنَا ، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا ، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ ، فَيَأْتُونَهُمْ ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ ، لاَ تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، فَيُخْرِجُونَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ، أَخْرَجْنَا مَنْ قَدْ أَمَرْتَنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الإِيمَانِ ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا ، فَلْيَقْرَأْ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١٤) .

***

عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ إِلَى رَبِّنَا فِي الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنَ الطَّاعُونِ، فَيَقُولُ الشُّهَدَاءُ: إِخْوَانُنَا قُتِلُوا كَمَا قُتِلْنَا، وَيَقُولُ الْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ: إِخْوَانُنَا مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ كَمَا مُتْنَا، فَيَقُولُ رَبُّنَا: انْظُرُوا إِلَى جِرَاحِهِمْ،

(١٤) سنن ابن ماجة ٦٠ .

فَإِنْ أَشْبَهَ جِرَاحُهُمْ جِرَاحَ الْمَقْتُولِينَ، فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ، فَإِذَا جِرَاحُهُمْ قَدْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَهُمْ (١٥) .

﴿٢/٢١﴾ أدبر الشيطان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ، أَقْبَلَ، وَإِذَا ثُوِّبَ، أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: ثُوِّبَ: يَعْنِي: أُقِيمَ (١٦) .

﴿٢/٢٢﴾ الله هو الحق المبين

قال الأوزاعي : من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين (١٧).

﴿٢/٢٣﴾ من أرضى الله بسخط نفسه

كان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب ، فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : تكلم . قال : بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله؟ فبكي عبد الملك ثم قال : يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه . فبكي عبد الملك ثم قال : لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت (١٨) .

﴿٢/٢٤﴾ لَوْ قُرِئَ هَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى مَجْنُونٍ لَبَرَأَ

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ أَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١٥) النسائي ٣١٦٤ .

(١٦) سنن الدارمي ٢/ ٧٦٩ .

(١٧) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٨ .

(١٨) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٤٦ .

ﷺ : الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ . قَالَ أَبُو الصَّلْتِ: لَوْ قُرِئَ هَذَا الْإِسْنَادُ عَلَى مَجْنُونٍ لَبَرَأَ [١٩] .

﴿٢/٢٥﴾ من أمثال العرب

لَمْ يَضِع مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ ، عَشٍّ وَلا تَغْتَرَّ ، أَنْ تَرِدِ المَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ ، ولِّ حارَّها من تولي قارَّها ، أحشفاً وسوء كيلة ، ضغث على إبالة ، عمل من طبَّ لمن حبَّ .

﴿٢/٢٦﴾ ليس لهالك معذرة

خطب عمر بن الخطاب بالجابية فذكر الخطبة وفيها أن عمر قال ليس لهالك هلك معذرة في تعمد ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبه ضلالا [٢٠].

﴿٢/٢٧﴾ القياسات والآراء

قال الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع : ولا إشكال أنه ما أفسد الدين شيء مثل القياسات الفاسدة والتاويلات الباطلة [٢١] .

﴿٢/٢٨﴾ أمة الدعوة وأمة الإجابة

أمة الدعوة هي المعنية بقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ وهي المعنية في حديث النبي ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» ، وأمة الإجابة وهم المسلمون : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ و ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ .

﴿٢/٢٩﴾ الحاجة للعلم [٢٢]

قال الإمام أحمد : الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس .

---

(١٩) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ١/ ٤٥ .

(٢٠) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٦/ ٤٤ .

(٢١) إقامة الدليل والبرهان على تحريم أخذ الأجر على تلاوة القرآن ص ١٧ .

(٢٢) [إحالة]

﴿٢/٣٠﴾ الناس ثلاثة [٢٣]

قال علي رضي الله عنه : الناس ثلاثة : فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح ، لم يستنيروا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق .

﴿٢/٣١﴾ العلم

حديث : عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[٢٤] .

﴿٢/٣٢﴾ القلوب أربعة

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ مُصَفَّحٌ فَذَاكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ ، فَذَاكَ قَلْبُ الْكَافِرِ ، وَقَلْبٌ أَجْرَدُ كَأَنَّ فِيهِ سِرَاجًا يَزْهُو ، فَذَاكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ ، وَقَلْبٌ فِيهِ نِفَاقٌ وَإِيمَانٌ فَمَثَلُهُ مِثْلُ قُرْحَةٍ يَمُدُّهَا قَيْحٌ وَدَمٌ ، وَمِثْلُهُ مِثْلُ شَجَرَةٍ يَسْقِيهَا مَاءٌ خَبِيثٌ وَمَاءٌ طَيِّبٌ ، فَأَيُّ مَاءٍ غَلَبَ عَلَيْهَا غَلَبَ [٢٥] .

﴿٢/٣٣﴾ اختيار المعلم

قال الشيخ أحمد فريد حفظه الله : وينبغي له كذلك - أي طالب العلم - أن يختار من يتعلم منه ولا يتعلم إلا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته ، فقد قال محمد بن سيرين ومالك بن انس وغيرهما من السلف : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم [٢٦].

---

(٢٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٨/١٤ .

(٢٤) البخاري ٧٩ .

(٢٥) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٨١ .

(٢٦) البحر الرائق ص ٤٤ .

﴿٢/٣٤﴾ النصيحة للولاة

قال الشيخ أحمد فريد حفظه الله : والنصيحة لأئمة المؤمنين أن يطيعهم في الحق ولا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا [٢٧] .

﴿٢/٣٥﴾ النظر

فَتَبَصَّرْ ولا تَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ رُبَّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنِ
وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرَامٍ تَكْتَسِي فِيهِ ثَوْبَ ذُلٍّ وَشَيْنِ
فَبَلاءُ الفَتَى مُوَافَقَةُ النَّفْـ ـسِ وَبَدْءُ الهَوَى طُموحُ العَيْنِ

***

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الحور موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضرر

***

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كلّه أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

﴿٢/٣٦﴾ فوائد مشهور حسن

الأحكام الشرعية متعلقة بالأفعال لا بالذوات .

***

مفهوم اللقب ليس حجة إلا عند أبي بكر الدقاق من الشافعية [٢٨] .

***

---

(٢٧) البحر الرائق ص ٤٧ .

(٢٨) انظر : أصول الفقه لابن مفلح ٣/ ١٠٩٧ .

قاعدة : إذا علق الحكم الشرعي على اسم فإنه لا ينزع الحكم عن غيره . مثلاً : محمد رسول الله هل معناه أن عيسى ليس رسول الله ؟

***

الأمر الجامع لعلامات الساعة : عدم معهودية هذا الأمر أيام النبي ﷺ . ولا يفيد حرمة ولا حلاً .

***

العرب إن عَظَّمَتْ نَكَّرَتْ .

***

إذا قال مسلم بن الحجاج : مثله . فتكون الألفاظ متطابقة أو الاختلاف يسير ، وإذا قال: نحوه . فتكون الألفاظ فيها تغيير وتبديل .

***

في الحديث : «فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ» وفيه دليل أن الأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده ، وهو دليل على أن الترك فعل .

***

لفظ القاضي :

- شرح مسلم للنووي الشافعية : عياض .
- المغني الحنابلة : أبو يعلى الفراء .
- المجموع : الماوردي ، إلا العراقين يقصدون به القاضي حسين في تعليقته .
- المالكية : عبد الوهاب المالكي .

***

من فقه الرجل أن يسأل عن جمال المرأة قبل دينها ، لأنه إن ردها لدمامتها بعد توثقه من دينها أثم ، وإن ردها لجمالها بدايةً لم يأثم [بتصرف يسير]

***

قوله تعالى : ﴿وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ علم ظهور ورأي ظهور .

***

كل حديث أخرجه ابن الجارود في المنتقى فهو صحيح أو حسن عنده .

***

كل فهم لأي نص سلب منه العمل فالفهم دخيل وليس أصيل

***

الدليل على أن الطهور طاهر مطهر حديث : «جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» وفي لفظ «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً مَسْجِدًا وَطَهُورًا» ولا تكون مطهرة إلا أصالةً ، ومنه : التيمم أصيل وليس بديلاً . والقاعدة أن البدل يأخذ حكم المبدل منه . فهل يقال دعاء بعد الوضوء عقب التيمم ؟

***

﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ في مقام الامتنان .

﴿٢/٣٧﴾ أو للإضراب

وتأتي بمعنى بل ، وفي الحديث : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» . وفي الآية: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ، ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ .

﴿٢/٣٨﴾ ثناء

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

***

قيل في مالك :

يَدَعُ الجَوَابَ فَلاَ يُرَاجَعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُوْنَ نَوَاكِسُ الأَذْقَانِ

عِزُّ الوَقَارِ وَنُوْرُ سُلْطَانِ التُّقَى فَهُوَ المَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

***

صموت إذا ما الصمت زين أهله وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة ونيطت الآداب باللحم والدم

﴿٢٣٩﴾ شعر القاضي عبد العزيز الجرجاني

على مُهْجَتِي تَجْني الحوادثْ والدَّهرُ فأمَّا اصطباري فهو مُمْتَنِعٌ وعرُ
كأني أُلاقِي كلَّ يومٍ يَنُوبُني بذنبٍ وما ذَنْبي سوى أَنَّني حُرُّ
فإن لم يكن عند الزَّمانِ سوى الذي أضيقُ به ذَرْعاً فعندي له الصبرُ
وقالوا: تَوَصَّل بالخضوعِ إلى الغِنى وما علمُوا أنَّ الخُضوعَ هو الفَقْرُ
وبَيني وبين المالِ بابانِ حَرَّما عليَّ الغِنَى: نفسي الأبيةُ والدهرُ
إذا قال هذا اليُسرُ أَبْصَرْتُ دونه مواقفَ خَيْرٌ من وقوفي بها العُسرُ
إذا قُدِّموا بالوفرِ أَقْدَمْتُ قَبلهمْ بنفسٍ فقيرٍ كلُّ أخلاقِهِ وَفْرُ
وماذا على مثلي إذا خَضَعَتْ له مطامعهُ في كفِّ مَنْ حصَلَ التِّبْرُ؟
وأكثر ما عندي لمن قعدتْ به فضائلهُ الإعراض والنَّظرُ الشزرُ

﴿٢٤٠﴾ الأجل والأمل

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : «خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»[٢٩] .

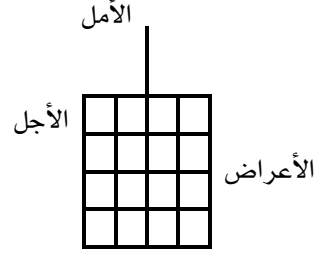

(٢٩) البخاري ٦٤١٧ .

﴿٢/٤١﴾ الصلاة [٣٠]

عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ: إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ. فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا، حَفِظَ دِينَهُ. وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ.

﴿٢/٤٢﴾ تحرير المرأة

قال قاسم أمين : لقد كنت أدعوا المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الإفرنج في تحرير نسائهم وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم.. ولكني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي...رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تتطاولوا إليها بألسنة البذاء ثم ما وجدت زحاماً في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسنة جميعاً.. أنني أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل[٣١] .

﴿٢/٤٣﴾ شعب مصر

قال علي أحمد باكثير : في هذا الشعب الوديع الذي يحيا على ضفاف النيل قوة كامنة إذا وجدت من يحسن استثارتها والانتفاع بها صنعت العجائب وأتت بالمعجزات [٣٢] .

﴿٢/٤٤﴾ التعارض

إذا اجتمع الحلال والحرام فإنه يغلب جانب الحرام إلا إذا كان الحرام غير محصور فإنه يعفى عنه للمشقة . ويدل عليه حديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى

---

(٣٠) موطأ مالك ت عبد الباقي ١/ ٦ .

(٣١) نقلاً عن : عودة الحجاب ١/ ٧٣ .

(٣٢) مقدمة وإسلاماه .

أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً، فَأُلْقِيهَا» (٣٣) ، وانظر حديث : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ نَائِمًا، فَوَجَدَ تَمْرَةً تَحْتَ جَنْبِهِ، فَأَخَذَهَا، فَأَكَلَهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَتَضَوَّرُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَفَزِعَ لِذَلِكَ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ، فَقَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً تَحْتَ جَنْبِي فَأَكَلْتُهَا، فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ (٣٤) .

صور التعارض :

- تعارض واجب مع محرم يقدم الواجب .
- تعارض مستحب مع مكروه يقدم المكروه .
- تعارض مباح مع محرم يقدم المحرم .
- تعارض مستحب ومحرم يقدم المحرم .

﴿٢/٤٥﴾ إني متوفيك

الوفاة وفاتان صغرى وهي النوم ، وكبرى وهي الموت . ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وحديث : «أنفسنا بيد الله»

قال المعري :

ونومي موت قريب النشور وموتي نوم طويل الكرى

﴿٢/٤٦﴾ الإطراء

قال الشافعي :

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

قال المعري :

إذا أثْنى عليّ المرءُ يوماً بخيرٍ ليسَ فيّ فذاك هاجِ

---

(٣٣) البخاري ٢٤٣٢ .

(٣٤) أحمد ٦٧٢٠ .

وحقّيَ إن أُساءَ بما افتراهُ فلؤمٌ من غريزتيَ ابتهاجي

وقلت :

حسناً ظننتم بعدما لم تعلموا بقبيح فعلي

إني لأعلمكم به وكذاك أعلمكم بجهلي

﴿٢/٤٧﴾ من الله بأربعة

قال هلال بن العلاء الرقي: من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم بأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ولولا ذلك لكفر الناس وبالشافعي تفقه في حديث رسول الله ﷺ وبيحيى بن معين نفي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ وبأبي عبيد القاسم بن سلام فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ولولا ذلك لأحقم الناس في الخطأ (٣٥).

﴿٢/٤٨﴾ لا يمل الشر حتى يملوا

قال ثابت بن جابر تأبط شراً :

إنَّ بالشَّعبِ الَّذي دُونَ سلعٍ لقتيلاً دمهُ ما يُطلُّ

خَلَّفَ الْعِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أنا بالعبءِ لهُ مُستقلُّ

ووراءَ الثَّأر منِّي ابنُ أختٍ مَصِعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ

مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سَمّاً كَمَا أَطْـ ـرَقَ أَفْعَى يَنْفِثُ السَّمَّ صِلُّ

صليتْ منِّي هذيلٌ بخرقٍ ولا يملُّ الشرَّ حتى يملُّوا

﴿٢/٤٩﴾ النقاب

قال المثقف العبدي :

لِمَنْ ظُعُنٌ تُطالِعُ مِنْ ضُبَيْبٍ فما خَرَجَتْ من الوادِي لِحِينِ

ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ وسَدَلْنَ أُخْرَى وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ لِلْعُيُونِ

***

(٣٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٢٧٨ .

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

﴿٢/٥٠﴾ الكلام

قَالَ: يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَوْمَ نَاظَرَهُ حَفْصٌ الْفَرْدُ قَالَ لِي: «يَا أَبَا مُوسَى لَأَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ» لَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ حَفْصٍ كَلَامًا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَحْكِيَهُ (٣٦).

قال ابن عبد البر : وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : لَا تَكَادُ تَرَى أَحَدًا نَظَرَ فِي هَذَا الرَّأْيِ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ دَغَلٌ (٣٧) .

﴿٢/٥١﴾ الفضيل بن عياض

قابل الفضيل بن عياض رجلا بلغ من الكبر عتيا، فسأله: كم عمرك؟ قال الرجل: ستون عاما.قال الفضيل: توشك أن تصل إلى الله. قال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الفضيل: هل عرفت معناها؟ قال الرجل: نعم، عرفت أني لله عبد، وأني إليه راجع. قال الفضيل: إذا عرفت أنك لله عبد، وأنك إليه راجع، عرفت أنك مسئول، وإذا عرفت أنك مسئول، فأعد للسؤال جوابا. قال الرجل: وما الحيلة يرحمك الله؟ قال الفضيل: يسيرة، أن تتقي الله فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى (٣٨).

﴿٢/٥٢﴾ الطائفة

قال ابن حزم : والطائفة في لغة العرب التي بها خوطبنا يقع على الواحد فصاعدا وطائفة من الشيء بمعنى بعضه هذا ما لا خلاف بين أهل اللغة (٣٩) . قال ابن عبد البر: وَالطَّائِفَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْوَاحِدُ فَمَا فَوْقَهُ (٤٠) . وقال البخاري : وَيُسَمَّى الرَّجُلُ طَائِفَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ (٤١) .

---

(٣٦) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٣٩ .

(٣٧) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٤٢ .

(٣٨) [إحالة]

(٣٩) الإحكام ١/ ١٠٩ .

(٤٠) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٩ .

(٤١) صحيح البخاري .

﴿٢/٥٣﴾ الأصول

من الدليل على وجود الأصول في عهد الصحابة :

١- قولهم : كنا على عهد النبي ﷺ ، وكان على عهد النبي ﷺ ، وكنا نعزل والقرآن ينزل . دلالة الإقرار .

٢- قول ابن عباس : كنا نأخذ بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ . دلالة النسخ .

٣- قول ابن عمر : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء . تقديم قول النبي ﷺ على من سواه .

﴿٢/٥٤﴾ نفي الكل وإرادة الأغلب

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ شَيْءٌ (٤٢) ، قَالَ عُثْمَانُ بْنُ جَبَلَةَ، وَأَبُو دَاوُدَ: عَنْ شُعْبَةَ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا قَلِيلٌ . وفيه دليل على نفي الكل وإرادة الأغلب .

﴿٢/٥٥﴾ زنا الجوارح

وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ»(٤٣) .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ» قَالَ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَنِكْتَهَا». لاَ يَكْنِي، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ (٤٤) .وفيه دليل على أنها من الزنا .

***

(٤٢) البخاري ٦٢٥ .

(٤٣) البخاري ٦٢٤٣ .

(٤٤) البخاري ٦٨٢٤ .

﴿٢٥٦﴾ الدنيا

كم أفردت من أرفدت ، كم أفقرت من أرفقت ، كم أخمدت من أخدمت ، كم فارقت من رافقت ، كم قطعت من أقطعت . إذا حلت أوحلت ، وإذا كست أوكست ، وإذا أدبرت برت ، وإذا أقبلت قبلت ، وإذا أقطعت قطعت .

﴿٢٥٧﴾ اجتماع الأصل والظاهر

حديث العصر بني قريظة : قال القرافي : كُلَّ مَا لَهُ ظَاهِرٌ فَهُوَ يَنْصَرِفُ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا عِنْدَ قِيَامِ الْمُعَارِضِ الرَّاجِحِ لِذَلِكَ الظَّاهِرِ وَكُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ ظَاهِرٌ لَا يَتَرَجَّحُ أَحَدُ مُحْتَمَلَاتِهِ إِلَّا بِمُرَجِّحٍ شَرْعِيٍّ(٤٥) .

﴿٢٥٨﴾ كيف نهمتك للعلم

قال المزني : قيل للشافعي : كيف نهمتك للعلم؟ قال : أسمع بالحرف مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها سمعاً تتنعم به مثلما تنعمت الأذنان (٤٦) .

وقال الشافعي :

إِذَا هَجَعَ النَّوْمُ أَسْبَلْتُ عَبْرَتِي وَقُلْتُ بَيْتاً وَهْوَ مِنْ أَلْطَفِ الشِّعْرِ
أَلَيْسَ مِنَ الخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِياً تَمُرُّ بِلَا عِلْمٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِي

***

دَعُونِي وَأَمْرِي وَاخْتِيَارِي فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِمَا أُبْدِي وَأُبْرِمَ مِنْ أَمْرِي
إِذَا مَا مَضَى يَوْمٌ وَلَمْ أَصْطَنِعْ يَدًا وَلَمْ أَقْتَبِسْ عِلْمًا فَمَا هُوَ مِنْ عُمْرِي

﴿٢٥٩﴾ الإنصاف

قال الشوكاني : فَإِن وطنت نَفسك أَيهَا الطَّالِب على الْإِنْصَاف وَعدم التعصب لمَذْهَب من الْمذَاهب وَلَا لعالم من الْعلمَاء بل جعلت النَّاس جَمِيعًا بِمَنْزِلَة وَاحِدَة فِي كَونهم منتمين إِلَى الشَّرِيعَة مَحْكُومًا عَلَيْهِم بِمَا لَا يجدوا لأَنْفُسِهِمْ عَنْهَا مخرجا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تحولا فضلا

---

(٤٥) الفروق للقرافي = أنوار البروق في أنواء الفروق ٢/ ١٩٣ .

(٤٦) مناقب الشافعي ٢/ ١٤٣ .

عَن أَن يرتقوا إِلَى وَاحِد مِنْهُم أَو يلْزمه تَقْلِيده وقبوله قَوْله فقد فزت بأعظم فَوَائِد الْعلم وربحت بأنفس فرائده (٤٧).

﴿٢/٦٠﴾ الاتباع

قال الشافعي للربيع : أعطيتك جملة تقيك إن شاء الله ، لا تدعن لرسول الله ﷺ حديثاً إلا أن يأتي عن رسول الله ﷺ خلافه (٤٨).

﴿٢/٦١﴾ مقام النفس

قال أحمد بن طولون لولده: لا تلق بهمتك على صغار الأمور بأن تسهل على نفسك تناول يسيرها، فيمنعك ذلك من كبارها، ولا تشتغل بما يقل قدره فلا يكون فيك فضل لما يغظم قدره (٤٩).

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أعطيت تاقت وإلا تولت

***

والنفس طامحة إذا حملتها احتملت وإذا ترد إلى قليل تقنع

﴿٢/٦٢﴾ الجهل والهوى

قال الشاطبي : أَنَّ الشَّرْعَ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْهَوَى هُوَ الْمُتَّبَعُ الْأَوَّلُ فِي الْبِدَعِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ السَّابِقُ فِي حَقِّهِمْ، وَدَلِيلُ الشَّرْعِ كَالتَّبَعِ فِي حَقِّهِمْ، وَلِذَلِكَ تَجِدُهُمْ يَتَأَوَّلُونَ كُلَّ دَلِيلٍ خَالَفَ هَوَاهُمْ، وَيَتَّبِعُونَ كُلَّ شُبْهَةٍ وَافَقَتْ أَغْرَاضَهُمْ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ»، فَأَثْبَتَ لَهُمُ الزَّيْغَ أَوَّلًا، وَهُوَ الْمَيْلُ عَنِ الصَّوَابِ، ثُمَّ اتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهِ وَهُوَ خِلَافُ الْمُحْكَمِ الْوَاضِحِ الْمَعْنَى، الَّذِي هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ وَمُعْظَمُهُ. وَمُتَشَابِهُهُ عَلَى هَذَا قَلِيلٌ، فَتَرَكُوا اتِّبَاعَ الْمُعْظَمِ إِلَى اتِّبَاعِ الْأَقَلِّ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يُعْطِي مَفْهُومًا وَاضِحًا، ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَطَلَبًا لِمَعْنَاهُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ

---

(٤٧) أدب الطلب ومنتهى الأدب ص: ٣٦ .

(٤٨) معنى قول الإمام المطلبي ص ٩٧ .

(٤٩) سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢١٢ .

إِلَّا اللَّهُ، أَوْ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَلَيْسَ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى الْمُحْكَمِ وَلَمْ يَفْعَلِ الْمُبْتَدِعَةُ ذَلِكَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ أَوَّلًا فِي مُطَالَبَةِ الشَّرْعِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ (٥٠).

***

قال الشاطبي : فَإِنَّمَا يُؤْتَى النَّاسُ مِنْ قِبَلِ جُهَّالِهِمُ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَاجْتِهَادُ مَنِ اجْتَهَدَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ إِذْ لَمْ يَسْتَكْمِلْ شُرُوطَ الِاجْتِهَادِ، فَهُوَ عَلَى أَصْلِ الْعُمُومِيَّةِ، وَلَمَّا كَانَ الْعَامِّيُّ حَرَامًا عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي الْأَدِلَّةِ وَالِاسْتِنْبَاطِ، كَانَ الْمُخَضْرَمُ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهَالَاتِ مِثْلَهُ فِي تَحْرِيمِ الِاسْتِنْبَاطِ وَالنَّظَرِ الْمَعْمُولِ بِهِ، فَإِذَا أَقْدَمَ عَلَى مُحَرَّمٍ عَلَيْهِ؛ كَانَ آثِمًا بِإِطْلَاقٍ. وَبِهَذِهِ الْأَوْجُهِ الْأَخِيرَةِ؛ ظَهَرَ وَجْهُ تَأْثِيمِهِ، وَتَبَيَّنَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُجْتَهِدِ الْمُخْطِئِ فِي اجْتِهَادِهِ (٥١).

***

قال الشاطبي : وَأَمَّا إِنْ لَمْ يَصِحَّ بِمِسْبَارِ الْعِلْمِ أَنَّهُ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ ؛ فَهُوَ الْحَرِيُّ بِاسْتِنْبَاطِ مَا خَالَفَ الشَّرْعَ كَمَا تَقَدَّمَ، إِذْ قَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مَعَ الْجَهْلِ بِقَوَاعِدِ الشَّرْعِ الْهَوَى الْبَاعِثُ عَلَيْهِ فِي الْأَصْلِ، وَهُوَ التَّبَعِيَّةُ، إِذْ قَدْ تَحْصُلُ لَهُ مَرْتَبَةُ الْإِمَامَةِ وَالِاقْتِدَاءِ، وَلِلنَّفْسِ فِيهَا مِنَ اللَّذَّةِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ يَعْسُرُ خُرُوجُ حُبِّ الرِّئَاسَةِ مِنَ الْقَلْبِ إِذَا انْفَرَدَ، حَتَّى قَالَ الصُّوفِيَّةُ: حُبُّ الرِّئَاسَةِ آخِرُ مَا يَخْرُجُ مِنْ قُلُوبِ الصِّدِّيقِينَ! فَكَيْفَ إِذَا انْضَافَ إِلَيْهِ الْهَوَى مِنْ أَصْلٍ، وَانْضَافَ إِلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ دَلِيلٌ فِي ظَنِّهِ شَرْعِيٌّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ؟! فَيَتَمَكَّنُ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ تَمَكُّنًا لَا يُمْكِنُ فِي الْعَادَةِ الِانْفِكَاكُ عَنْهُ، وَجَرَى مِنْهُ مَجْرَى الْكَلْبِ مِنْ صَاحِبِهِ (٥٢).

﴿٢/٦٣﴾ أهلاً وسهلاً

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم : أَنْشَدَنِي بَعْضُ شُيُوخِي لِأَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِينَ أُحِبُّهُمْ وَأَوَدُّهُمْ فِي اللَّهِ ذِي الْآلَاءِ

---

(٥٠)الاعتصام للشاطبي ت الهلالي ١/ ١٨٩ .

(٥١) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي ١/ ١٩٢ .

(٥٢) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي ١/ ١٩٧ .

أَهْلًا بِقَوْمٍ صَالِحَيْنِ ذَوِي تُقًى غُرِّ الْوُجُوهِ وَزَيْنِ كُلِّ مَلَاءِ
يَسْعَوْنَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ بِعِفَّةٍ وَتَوْقِيرٍ وَسَكِينَةٍ وَحَيَاءِ
لَهُمُ الْمَهَابَةُ وَالْجَلَالَةُ وَالنُّهَى وَفَضَائِلُ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ
وَمِدَادُ مَا تَجْرِي بِهِ أَقْلَامُهُمْ أَزْكَى وَأَفْضَلُ مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ
يَا طَالِبِي عِلْمَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا أَنْتُمُ وَسِوَاكُمُ بِسَوَاءِ

٢/٦٤ العلم

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم : وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ شَعْرَهُ هَذَا فِي الْعِلْمِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ :

مَعَ الْعِلْمِ فَاسْلُكْ حَيْثُ مَا سَلَكَ الْعِلْمُ وَعَنْهُ فَكَاشِفْ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ فَهْمُ
فَفِيهِ جِلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ حَتْمُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجَهْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ وَذُو الْعِلْمِ فِي الْأَقْوَامِ يَرْفَعُهُ الْعِلْمُ
يُعَدُّ كَبِيرَ الْقَوْمِ وَهْوَ صَغِيرُهُمْ وَيَنْفُذُ مِنْهُ فِيهِمُ الْقَوْلُ وَالْحُكْمُ
وَأَيُّ رَجَاءٍ فِي امْرِئٍ شَابَ رَأْسُهُ وَأَفْنَى سِنِيهِ وَهْوَ مُسْتَعْجِمٌ فَدِمُ
يَرُوحُ وَيَغْدُو الدَّهْرَ صَاحِبَ بِطْنَةٍ تَرَكَّبَ فِي أَحْضَانِهَا اللَّحْمُ وَالشَّحْمُ
إِذَا سُئِلَ الْمِسْكِينُ عَنْ أَمْرِ دِينِهِ بَدَتْ رُحَضَاءُ الْعِيِّ فِي وِجْهِهِ تَسْمُو
وَهَلْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ أَقْبَحَ مَنْظَرٍ مِنْ أَشْيَبَ لَا عِلْمٌ لَدَيْهِ وَلَا حُلْمُ
هِيَ السُّوءَةُ السَّوْءَاءُ فَاحْذَرْ شَمَاتَهَا فَأَوَّلُهَا خِزْيٌ وَآخِرُهَا ذَمُّ
فَخَالِطْ رُوَاةَ الْعِلْمِ وَاصْحَبْ خِيَارَهُمْ فَصُحْبَتُهُمْ زَيْنٌ وَخُلْطَتُهُمْ غَنْمُ
وَلَا تَعْدُوَنْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نُجُومٌ إِذَا مَا غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمُ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْعِلْمُ مِمَّا اتَّضَحَ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمُ

﴿٢/٦٥﴾ الشعر والحديث

قَالَ ابن عباس: «إِذَا خَفِي عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ» (٥٣).

***

قال أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُسْلِمٍ الْأَنْصَارِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي الْخَنَاجِرِ: كُنَّا عَلَى بَابِ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبٍ الْقُرْقُسَانِيِّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَفِينَا رَجُلٌ عِرَاقِيٌّ بَصِيرٌ بِالشِّعْرِ وَنَحْنُ نَتَمَنَّى أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْنَا فَيُحَدِّثَنَا حَدِيثًا وَاحِدًا أَوْ حَدِيثَيْنِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ: قَدْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِي بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ فَمَنْ أَخْبَرَنِي لِمَنْ هُوَ حَدَّثْتُهُ ثَلَاثَةَ أَحَادِيثَ، فَقَالَ الْفَتَى الْعِرَاقِيُّ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَيُّ بَيْتٍ هُوَ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ:

الْعِلْمُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا ... تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

فَقَالَ الْفَتَى: هُوَ لِسَابِقٍ الْبَرْبَرِيِّ، فَقَالَ الشَّيْخُ: صَدَقْتَ فَمَا بَعْدَهُ؟ فَقَالَ:

وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ ... كَمَا يُجْلِي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ

فَقَالَ الشَّيْخُ: صَدَقْتَ وَحَدَّثَهُ بِسِتَّةِ أَحَادِيثَ سَمِعْنَاهَا مَعَهُ (٥٤).

﴿٢/٦٦﴾ الجهل والعلم

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا ... ذَا اللُّبِّ يَنْطِقُ بِالْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ

قَالُوا وَلَيْسَ بِهِمْ إِلَّا نَفَاسَتُهُ ... أَنَافِعٌ ذَا مِنَ الْإِفْلَاسِ وَالْعَدَمِ

***

لَقَدْ ضَلَّتْ حُلُومٌ مِنْ أُنَاسٍ ... يَرَوْنَ الْعِلْمَ إِفْلَاسًا وَشُؤْمًا

كَسَانَا عِلْمُنَا فَخْرًا وَجُودًا ... وَبِالْجَهْلِ اكْتَسَوْا عَجْزًا وَلَوْمَا

هُمُ الثِّيرَانُ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِمْ ... فَكَيْفَ بِأَنْ تَرَى ثَوْرًا عَلِيمَا

فَجَانِبْهُمْ وَلَا تَعْتِبْ عَلَيْهِمُ ... وَكُنْ لِلْكُتْبِ دُونَهُمُ نَدِيمَا

---

(٥٣) المستدرك ٣٨٤٥.

(٥٤) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢٢.

﴿٢٦٧﴾ شرف العلم

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مِنْ شَرَفِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ أَنَّ كُلَّ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَكُلَّ مَنْ دُفِعَ عَنْهُ وَنُسِبَ إِلَى الْجَهْلِ عَزَّ عَلَيْهِ وَنَالَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وَإِنْ

كَانَ جَاهِلًا (٥٥). قال علي ابن أبي طالب : كفى بالعلم شرفا أن يَدَّعِيهِ من لا يُحْسِنه، ويَفرح به إذا نسِب إليه، وكفى بالجهل ضَعَة أن يتبرأ منه من هو فيه، ويَغضب إذا نسب إليه (٥٦).

﴿٢٦٨﴾ القلوب أوعية

قال ابن مسعود : «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَاشْغِلُوهَا بِالْقُرْآنِ وَلَا تَشْغَلُوهَا بِغَيْرِهِ» (٥٧).

﴿٢٦٩﴾ كتابة العلم

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مَنْ كَرِهَ كِتَابَ الْعِلْمِ؟ قَالَ: «كَرِهَهُ قَوْمٌ وَرَخَّصَ فِيهِ آخَرُونَ» ، قُلْتُ لَهُ: لَوْ لَمْ يُكْتَبِ الْعِلْمُ لَذَهَبَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَوْلَا كِتَابَةُ الْعِلْمِ أَيُّ شَيْءٍ كُنَّا نَحْنُ؟» (٥٨).

﴿٢٧٠﴾ شعراء النقائض (٥٩)

قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَمْتَدِحُهُ بِقَصِيدَةٍ وَعِنْدَهُ الشُّعَرَاءُ الثَّلَاثَةُ، جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ، فَلَمْ يَعْرِفْهُمُ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ عَبْدُ الملك للأعرابى: هل تعرف أهجى بيت قالته العرب فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَوْلُ جَرِيرٍ :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، فَهَلْ تَعْرِفُ أَمْدَحَ بَيْتٍ قِيلَ فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَوْلُ جَرِيرٍ:

---

(٥٥) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٥١ .

(٥٦) معجم الأدباء ١/١٦ .

(٥٧) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٨٣ .

(٥٨) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٢٩ .

(٥٩) البداية والنهاية ط الفكر ٩/ ٢٦٠ .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ

فَقَالَ: أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ، فَهَلْ تَعْرِفُ أَرَقَّ بَيْتٍ قِيلَ فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَوْلُ جَرِيرٍ:

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانًا

فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، فَهَلْ تَعْرِفُ جَرِيرًا؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَإِنِّي إِلَى رُؤْيَتِهِ لَمُشْتَاقٌ، قَالَ: فَهَذَا جَرِيرٌ وَهَذَا الفرزدق وهذا الأخطل، فَأَنْشَأَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ:

فَحَيَّا الْإِلَهُ أَبَا حَرْزَةٍ وَأَرْغَمَ أَنْفَكَ يَا أخطل

وجدّ الفرزدق اتعس به ورق خَيَاشِيمَهُ الْجَنْدَلُ

فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:

يَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفًا أَنْتَ حَامِلُهُ يَا ذَا الْخَنَا وَمَقَالِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ

ثُمَّ أَنْشَأَ الْأَخْطَلُ يَقُولُ:

يَا شَرَّ مَنْ حَمَلَتْ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ مَا مِثْلُ قَوْلِكَ فِي الْأَقْوَامِ يُحْتَمَلُ

إِنَّ الْحُكُومَةَ لَيْسَتْ فِي أَبِيكَ وَلَا فِي مَعْشَرٍ أَنْتَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ سفل

فقام جرير مغضبا وقال:

أَنَشْتُمَانِ سَفَاهًا خَيْرَكُمْ حَسَبًا فَفِيكُمَا وَإِلَهِي الزُّورُ وَالْخَطَلُ

شَتَمْتُمَاهُ عَلَى رَفْعِي وَوَضْعِكُمَا لَا زِلْتُمَا فِي سَفَالٍ أَيُّهَا السَّفَلُ

ثُمَّ وَثَبَ جَرِيرٌ فَقَبَّلَ رَأْسَ الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جائزتي له، وكانت خمسة آلاف، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: وَلَهُ مِثْلُهَا مِنْ مَالِي، فَقَبَضَ الْأَعْرَابِيُّ ذَلِكَ كُلَّهُ وَخَرَجَ.

(٢/٧١) الفاسد والباطل

الفرق بين الفاسد والباطل عند الحنفية والجمهور لا يفرقون إلا في النكاح .

الباطل : ما ليس مشروعاً أصلاً ولا وصفاً .

الفاسد : ما ليس مشروع وصفاً ، وقد يكون مشروعاً أصلاً .

قاعدة : شرعية الأصل لا تقتضي شرعية الوصف

﴿٢٧٢﴾ شرعية الأصل لا تقتضي شرعية الوصف

قال الشاطبي : الْأَصْلَ إِذَا ثَبَتَ فِي الْجُمْلَةِ لَا يَلْزَمُ إِثْبَاتُهُ فِي التَّفْصِيلِ، فَإِذَا ثَبَتَ مُطْلَقُ الصَّلَاةِ، لَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِثْبَاتُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ أَوِ الْوَتَرِ أَوْ غَيْرِهَا حَتَّى يُنَصَّ عَلَيْهَا عَلَى الْخُصُوصِ، وَكَذَلِكَ إِذَا ثَبَتَ مُطْلَقُ الصِّيَامِ، لَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِثْبَاتُ صَوْمِ رَمَضَانَ أَوْ عَاشُورَاءَ أَوْ شَعْبَانَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى يُثْبَتَ بِالتَّفْصِيلِ بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ، ثُمَّ يَنْظُرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ الْخَاصِّ الثَّابِتِ بِالدَّلِيلِ الصَّحِيحِ (٦٠) .

﴿٢٧٣﴾ الإسناد من الدين

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ (٦١) : نَقْلُ الثِّقَةُ عَنِ الثِّقَةِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ مَعَ الِاتِّصَالِ، خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ سَائِرِ الْمِلَلِ، وَأَمَّا مَعَ الْإِرْسَالِ وَالْإِعْضَالِ فَيُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْيَهُودِ، لَكِنْ لَا يَقْرُبُونَ مِنْ مُوسَى قُرْبَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ يَقِفُونَ بِحَيْثُ يَكُونُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُوسَى أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ عَصْرًا، وَإِنَّمَا يَبْلُغُونَ إِلَى شَمْعُونَ وَنَحْوِهِ. قَالَ: وَأَمَّا النَّصَارَى فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ صِفَةِ هَذَا النَّقْلِ إِلَّا تَحْرِيمُ الطَّلَاقِ فَقَطْ، وَأَمَّا النَّقْلُ بِالطَّرِيقِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى كَذَّابٍ أَوْ مَجْهُولِ الْعَيْنِ فَكَثِيرٌ فِي نَقْلِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. قَالَ: وَأَمَّا أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَلَا يُمْكِنُ الْيَهُودُ أَنْ يَبْلُغُوا إِلَى صَاحِبِ نَبِيٍّ أَصْلًا، وَلَا إِلَى تَابِعٍ لَهُ، وَلَا يُمْكِنُ النَّصَارَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى أَعْلَى مِنْ شَمْعُونَ وَبُولِصَ.

***

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ: خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، لَمْ يُعْطِهَا مَنْ قَبْلَهَا: الْإِسْنَادِ، وَالْأَنْسَابِ، وَالْإِعْرَابِ. وَمِنْ أَدِلَّةِ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ

---

(٦٠) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي ١/ ٢٩٢ .

(٦١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٢/ ٦٠٤ .

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ قَالَ: إِسْنَادُ الْحَدِيثِ. وَسُنَّةٌ بَالِغَةٌ مُؤَكَّدَةٌ ، قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، لَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: حَدَّثَ الزُّهْرِيُّ يَوْمًا بِحَدِيثٍ، فَقُلْتُ: هَاتِهِ بِلَا إِسْنَادٍ، فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: أَتَرْقَى السَّطْحَ بِلَا سُلَّمٍ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: الْإِسْنَادُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ.

﴿٢٧٤﴾ ليس بالقوي = حسن [ملحق ٣٥/٦ ، ٦٧/٦]

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ هُوَ ضَعِيفٌ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ لَكِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ يُقْصَدُ بِهَا أَنَّهُ مِمَّنْ لَيْسَ يُصَحَّحُ حَدِيثُهُ بَلْ هُوَ مِمَّنْ يُحَسَّنُ حَدِيثُهُ، وَقَدْ كَانُوا يُسَمُّونَ حَدِيثَ مِثْلِ هَذَا ضَعِيفًا وَيَحْتَجُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ حَسَنٌ إذْ لَمْ يَكُنْ الْحَدِيثُ إذْ ذَاكَ مَقْسُومًا إلَّا إلَى صَحِيحٍ وَضَعِيفٍ، وَفِي مِثْلِهِ يَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ الْحَدِيثُ الضَّعِيفُ خَيْرٌ مِنْ الْقِيَاسِ يَعْنِي الَّذِي لَمْ يَقْوَ قُوَّةَ الصَّحِيحِ مَعَ أَنَّ مَخْرَجَهُ حَسَنٌ (٦٢).

﴿٢٧٥﴾ أقوال الأئمة في اتباع الأثر

قال الشيخ محمد سفر المدني في منظومة رسالة الهدى في اتباع النبي المقتدى :

وقول أعلام الهدى لا تعملوا بقولنا في خلف نص يقبل
فيه دليل الأخذ بالحديث وذاك في القديم والحديث
قال أبو حنيفة الإمام لا ينبغي لمن له إسلام
أخذ بأقوالي حتى تعرضا على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن رأيتم قولي مخالفاً لم رويتم
من الحديث فاضربوا الجدار بقولي المخالف الأخبارا
وأحمدٌ قال لهم لا تكتبوا ما قلته بل أصل ذلك اطلبوا
دينك لا تقلد الرجالا حتى ترى أولاهما مقالا

(٦٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٦/ ١٥٩ .

فاسمع مقالات الهداة الأربعة واعمل بها فإن فيها منفعة
لقمعها لكل ذي تعصب والمنصفون يكتفون بالنبي

﴿٢٧٦﴾ الظن

قال الشاطبي : وَرُبَّمَا احْتَجَّ طَائِفَةٌ مِنْ نَابِتَةِ الْمُبْتَدَعَةِ عَلَى رَدِّ الْأَحَادِيثِ بِأَنَّهَا إِنَّمَا تُفِيدُ الظَّنَّ . انتهى ، والظن المذموم هو : الظن في أصول الدين ، ترجيح أحد النقيضين بلا بينة ، ظن لا يستند إلى قطعي [٦٣] .

﴿٢٧٧﴾ شحم الخنزير

قال الشاطبي [٦٤] : وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ [عَلَى] تَحْلِيلِ شَحْمِ الْخِنْزِيرِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ فَاقْتَصَرَ عَلَى تَحْرِيمِ اللَّحْمِ دُونَ غَيْرِهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ حَلَالٌ! وَرُبَّمَا سَلَّمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَا قَالُوا، وَزَعَمَ أَنَّ الشَّحْمَ إِنَّمَا حَرُمَ بِالْإِجْمَاعِ، وَالْأَمْرُ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللَّحْمَ يُطْلَقُ عَلَى الشَّحْمِ وَغَيْرِهِ حَقِيقَةً، حَتَّى إِذَا خُصَّ بِالذِّكْرِ؛ قِيلَ: شَحْمٌ؛ كَمَا يُقَالُ: عِرْقٌ، وَعَصَبٌ، وَجِلْدٌ، وَلَوْ كَانَ عَلَى مَا قَالُوا؛ لَزِمَ أَنْ لَا يَكُونُ الْعِرْقُ وَالْعَصَبُ وَلَا الْجِلْدُ وَلَا الْمُخُّ وَلَا النُّخَاعُ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا خُصَّ بِالِاسْمِ مُحَرَّمًا، وَهُوَ خُرُوجٌ عَنْ الْقَوْلِ بِتَحْرِيمِ الْخِنْزِيرِ.

﴿٢٧٨﴾ الجهل بكلام العرب

قال الشاطبي : كَثِيرًا مَا يُوقِعُ الْجَهْلُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَجَازٍ لَا يَرْضَى بِهَا عَاقِلٌ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعَمَلِ بِهِ بِفَضْلِهِ[٦٥] .

﴿٢٧٩﴾ التغريب

يقول سارتر - أحد دهاقنة التنصير في مقدمته التي صدر بها كتاب المعذبون في الأرض للمفكر الأفريقي فرانس فانون ، موضحاً أسلوب صناعة الغرب للزعماء ما نصه : كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة

(٦٣) انظر كيف نفهم الإسلام للقرضاوي ص٥٠ .
(٦٤) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي ١/ ٣٠٢ .
(٦٥) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي ١/ ٣٠٣ .

أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس، فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو، والاستقبال والاستدبار ، ويتعلمون لغاتنا، وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا ، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجة أوروبية ، ثم نلقنهم أسلوب الحياة بأثاث جديد وطرز جديدة ، وغذاء أوروبي ، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا بلادهم ، ثم نرسلهم إلى بلادهم، وأي بلاد! بلاد كانت أبوابها مغلقة في وجوهنا ، ولم نجد منفذا إليها ، كنا بالنسبة لهم رجساً ونجساً ، كنا أعداء يخافون منا ، وكأنهم همج لم يعرفوا بشراً قط ، لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم كنا نصيح في أمستردام، أو برلين، أو باريس : الإخاء البشري، فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي إفريقيا، أو الشرق الأوسط ، أو الأدنى ، أو شمال إفريقيا ، كنا نقول : ليحل المذهب الإنساني - أو دين الإنسانية - محل الأديان المختلفة ، وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم، وحين نصمت يصمتون ، إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم ، ليس هذا فحسب بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم ، هذا السوس الذي قد صنعناه وسميناه المفكرين ، كانوا عالمين بلغاتنا ، وكان قصارى هممهم ومنتهى أملهم أن يصبحوا مثلنا ، في حين أنهم أشباهنا وليسوا مثلنا ، وإنما نخروا من الداخل ثقافة أهلهم وأديانهم القومية ، التي تصنع الحضارات ، ومثلهم ، وأحاسيسهم ، وأفكارهم الجميلة ، وأصالتهم الأخلاقية والإنسانية ، وتحت أي شعار؟ وباسم من؟ باسم مقاومة الخرافات أو مكافحة الرجعية أو الوقوف ضد السلفية أو الأصولية .